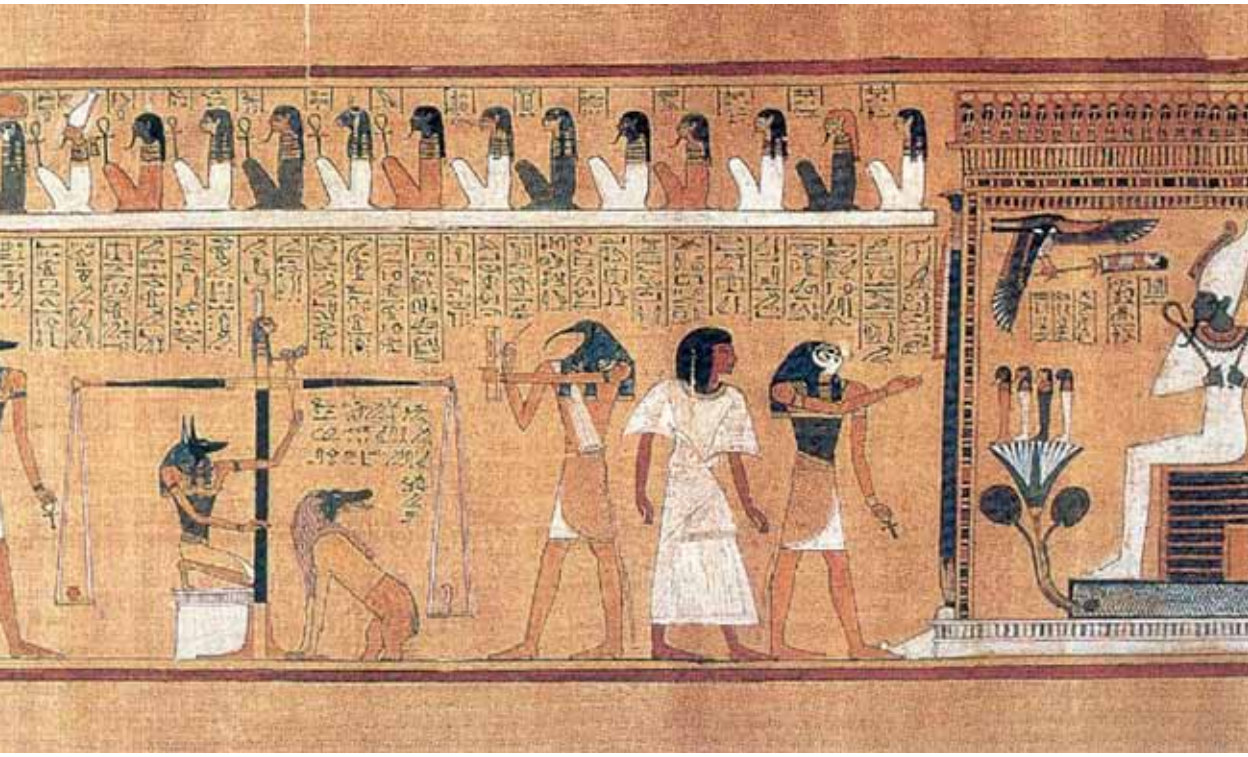

الهوية الإفريقية بين البانافريقانية والكيميتية

أ.د. عبد الرحمن شيث علاوي

عضو هيئة التدريس بكلية الفرقان للدراسات الإسلامية والتربوية. بوبو جولاسو- بوركينا فاسو.

شهدت إفريقيا عبر تاريخها الحديث بروز حركات فكرية وثقافية متباينة، تسعى إلى إعادة تعريف التاريخ والإنسان الإفريقي، وتحاول أن تفسر الحاضر في ضوء هذا التعريف. من بين هذه الحركات نجد البانافريقانية والكيميتية، وهما تياران يختلفان في رؤيتهما وإستراتيجياتهما، رغم اشتراكهما في هدف تحقيق وحدة القارة الإفريقية وتعزيز هويتها.

البانافريقانيـــة، التي نشـــأت في إطـــار النضال ضد الاستعمار، تسعى إلى توحيد الشعوب الإفريقية ومنحدريها في الشتات على أســـاس التضامن السياسي والاقتصادي، مشـــددةً على أهمية التعاون بين الـــدول الإفريقية لتعزيز اســـتقلالها وتطورها. في المقابل؛ ترتكـــز الكيميتية على اســـتلهام الإرث الحضاري القديم لإفريقيا، وخاصةً حضارة مصر القديمة (كيميت)، معتبرةً أن استعادة الهوية الإفريقية الأصيلـــة تبدأ من الاعتراف بتاريخهـــا العريق، والربط بين الحاضر والماضي العميق للقارة.

تستعرض هذه الدراسة الفارق بين الحركتين، من حيث أصولهما الفكرية وأهدافهما، وكيف ســـاهمت كلٌّ منهما في تشـــكيل الوعي الإفريقي الحديث، مع إبراز تأثير كلٍّ منهما في الساحة السياسية والثقافية في القارة. وذلك من خلال تناول الجـــذور التاريخية والفكرية لكلٍّ مـــن البانافريقانية والكيميتية، والأيديولوجيات الأساســـية التي تقوم عليها كلٌّ من الحركتين، وكيف تختلف هذه الأيديولوجيات في رؤيتها للهوية الإفريقية والوحدة الإفريقية.

المشكلة البحثية:

«الفروق بيـــن البانافريقانية والكيميتية وتأثيرهما على الهوية الإفريقية: دراسة مقارنة».

وصف المشكلة:

تســـعى هذه الدراسة إلى استكشاف الفروق الجوهرية بين حركتي البانافريقانية والكيميتية، وكيف يؤثر كلٌّ منهما علـــى تشـــكيل الهوية الإفريقيـــة. على الرغم مـــن أن كلتا الحركتين تشـــتركان فـــي الهدف العـــام المتمثل في تعزيز الهويـــة الإفريقية؛ فإن كلاً منهما تعتمد على أســـس فكرية وثقافية مختلفة.

أسئلة الدراسة:

- مـــا الأهداف الرئيســـية لـــكلٍّ مـــن البانافريقانية والكيميتيـــة، وكيف تختلفان فـــي مقاربتهما لبنـــاء الهوية الإفريقية؟

- كيـــف تعكس كل حركة من الحركتين التاريخ الثقافي والسياسي للشعوب الإفريقية؟

- ما التحديـــات التي تواجهها كلٌّ مـــن البانافريقانية والكيميتية في تحقيق أهدافهما؟

- ما أبرز الانتقادات التي وُجّهت لكلٍّ من البانافريقانية والكيميتية؟

وذلك من خلال محورين:

المحور الأول: البانافريقانية الدلالة والنشـــأة والتاريخ وأهم الأفكار والأطروحات ومظاهر التأثير.

المحور الثاني: الكيميتية الدلالة والنشأة والتاريخ وأهم الأفكار والأطروحات ومظاهر التأثير.

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

فكر البانافريقانية لا يزال يؤدي دوراً حيوياً في تشكيل مستقبل إفريقيا من خلال تعزيز الوحدة، التعاون، والوعي الجماعي

المحور الأول: البانافريقانية الدلالة والنشأة والتاريخ وأهم الأفكار والأطروحات ومظاهر التأثير:

أولا: تعريف البانافريقانية:

يتكون مصطلـــح بانافريقانية من شـــقين، هما: (بَانْ) pan و (أفريقانية) africanisme.

- الشق الأول: كلمة (بَانْ) pan:

تعود جذورها إلى لغة الشعوب اليونانية القديمة الذين كانوا يستعملونها للدلالة على معانٍ، منها معنى:

١- (كل شـــيء)، ويُعبّـــر بها عن معنى كليّة وشـــمولية الاسم.

٢- جزء مهم في شيء.

وقد تـــم بناء جملة من المصطلحـــات من (بَانْ) pan المشار إليها، **ومن هذه المصطلحات:**

أ- بانوبلي panoplie: بمعنى جميع الأسلحة.

ب- باناسي panacée: بمعنى العلاج الشامل.

ج- بانتهون panthéon: بمعنى جميع الآلهة.

د- مصطلحات سياسية لها طابع شمولي معيّن، مثل: العروبة panarabe، البانافريقانية، البانامريكية[١].

- الشق الثاني (إفريقيا):

اسم أُطلق على القارة التي يقطنها الشعوب السوداء، والتي استقرت عليها منذ قرون عديدة، وأصبحت تُعرف بها اليوم. وقد عرفت أسماء أخرى عبر تاريخها الطويل غير هذا الاسم، مثل ليبيا وإثيوبيا، وأصبحت تلك الأسماء تُطلق اليوم على دول إفريقية محددة ومعروفة[٢].

وقد أخذ مصطلح البانافريقانية طابعاً آخر في المفهوم والدلالة العرفية، وجعل البناء اللغوي أساساً له، وهذا ما سيلاحظ في التعريفات التي تمت صياغتها من قِبَل العلماء والباحثين في المجال. جاء في القاموس الفرنسي ويكشيونير: أن «البانافريقانية حركة سياسية ونشاط ثقافي تجعل إفريقيا وسكانها المقيمين فيها، وفي خارجها، كياناً واحداً وجسداً واحداً، تهدف إلى توحيد إفريقيا، وغرس شعور التضامن بين الشعوب الإفريقية، من أجل محاربة الظلم والقهر الذي طالما عانت منه»[٣].

وقد عرّفها المؤرخ والبنافريقاني حمزة بوكاري يابارا، مؤلف كتاب (الوحدة الإفريقية تاريخ في البانافريقانية) بقوله: «البانافريقانية فكرة إيجاد تضامن بين الشعوب الإفريقية، تهدف إلى حماية المصالح الإفريقية من خلال جعلها تعبّر عن نفسها بصوت رجل واحد»[٤]. ويعرّفها البروفيسور جاك نانيما في محاضرته المعنونة بـ(البانافريقانية والدين والثقافة والسياسة وما موقف الناشط؟) بقوله: «البانإفريقية عقيدة أو حركة فكرية، نشأت من الجروح التي أحدثها التاريخ للشعوب السوداء، بإخراجها من ديارها، وإخضاعها لظروف الإهانة والسخرية، من قِبَل أناس ذوي الألوان المغايرة، الذين يدّعون أنهم أصحاب القوة والسلطة، وأنهم حاملو رسالة الحضارة والمدنية للشعوب الإفريقية السوداء»[٥]. ويقول تيوفيلوس أديتوي Theophilus Adetoye: «البانافريقانية أداة النضال، وحركة تحرّر الشعوب السوداء، وعدة المعركة من أجل إعادة تحسين كرامتها المدنَّسة»[٦].

ويشير كلٌّ من حكيم آدي وماريكا شيروود، في كتابهما عن الشخصيات السياسية في تاريخ الحركة القومية الإفريقية، إلى أن القومية الإفريقية اتخذت أشكالاً مختلفة في لحظات تاريخية ومواقع جغرافية مختلفة، كما لاحظنا أن الأساس الذي تقوم عليه هذه المنظورات المختلفة للقومية الإفريقية هو «الإيمان بشكلٍ من أشكال الوحدة أو الهدف المشترك بين شعوب إفريقيا والشتات الإفريقي»[٧].

ثانيا: البانافريقانية: النشأة والبعد التاريخي:

حسب بعض المؤرخين ظهرت الفكرة البانافريقانية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي على يد النخبة المثقفة من الأفارقة السود في أمريكا والكاريبي، كأمثال: هنري سلفيستر وليام Henri Sylvester Williams، ويلموت بلايدن Wilmot Blyden، وبينيتو سيلفيان Benito Sylvain، وفيرمين أنتينور Firmin Anténor وغيرهم؛ وذلك بقصد وضع حدٍّ نهائي للتمييز العنصري وسوء المعاملة المبني على الظلم والقهر والنظرة الدونية

(١) ينظر: مادة (pan)، في الموقع: https://www.lem-onde.fr. 30-01-2020.

(٢) ينظر: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل وغيره، ص١٤، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ٢٠٠٧م.

(٣) ينظر: مادة panafricanisme، في الموقع: https:// www.wiktionnaire.fr

(٤) https://www.geo.fr/geopolitique/quest-ce-que-le-panafricanisme

(٥) https://www.faso.net/ panafricanisme /19-11/2023.

(٦) ينظر: البانافريقانية والتقدم: رؤية فلسفية، تيهوفيلوس أديتوي، ص٤٩ وما بعدها، بحث قدم استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماستر في الفن، جامعة رزينا، ٢٠٢١م.

(٧) Tim Murithi- Institutionalising Pan- Africanism Transforming African Union values and principles into policy and practicek- p.1.

والاحتقار وعدم الاعتراف بحقوق الشعوب السوداء، الذي خلفه الاستعباد وتجارة الرقيق، التجارة القذرة التي مورست على الشعوب السوداء لمدة أربعة قرون، وقد ضيعت على القارة أكثر من مائتي مليون إنسان[١].

ويذهب البعض إلى أن خطواتها الأولى بدأت منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، في أعقاب المواجهة الشرسة والعنيفة التي حدثت بين مالكي العبيد والعبيد السود، والعبيد الذين تم تحريرهم في منطقة الكاريبي وأمريكا؛ وذلك بسبب عداوة المزارعين ومالكي العبيد ضد السود الأحرار الذين لم يعودوا يحتملون عبودية إخوانهم السود، وقد كانوا يشكلون تهديداً كبيراً لهم[٢].

وإذا كان القرن التاسع عشر الميلادي هو زمن إلغاء التجارة المأساوية، وإنهائها في الدول التي كانت لها الصدارة في القضية، كإنجلترا وفرنسا والبرتغال وغيرها من الدول الغربية؛ فإن نصفه الثاني هو بداية ترسيخ لاستعمار دول إفريقيا بقرار مؤتمر برلين الذي عُقد في عامي ١٨٨٤-١٨٨٥م، ودخول السود في أمريكا، إثر إلغاء الاسترقاق، في صراع مطالبة الحقوق والعيش الكريم في المجتمع الذي زُرعوا فيه[٣].

فكانت نهاية مشكلة هي بداية لمشكلة أخرى للشعوب السوداء، مشكلة مقاومة الاستعمار والاستغلال في إفريقيا من جهة، ومشكلة الكفاح من أجل تحقيق الحرية والمساواة والاعتراف بحقوق السود في المجتمعات الغربية من جهةٍ أخرى.

وقد أسهمت كل هذه المشكلات في بروز فكرة إنشاء كيان منظم قوي وفعّال هو البانافريقانية. ومن الجدير بالذكر أنه لا يمكن فهم أسباب ظهور الحركة البانافريقانية ودواعي نشأتها؛ إذا لم تُدرس المشكلات التي نجمت عن الاسترقاق والاستعمار؛ لذلك يقول الباحث قدير ستيفان دابيري Kader Stéphane Dabire في بحثه الذي عنوانه (البانافريقانية تحليل تاريخ حركة فيدرالية): «تُعدّ تجارة الرقيق مهمة وضرورية في تفسير نشأة البانافريقانية كحركة عمل. ولذلك يبدو من المستحيل شرح ماهية البانافريقانية وإدراكها تمام الإدراك ما لم نَخُض في تفاصيل التجارة، وفهم ماهيتها، وكيف أثرت على هوية السود ووضعهم الجديد في الأمريكتين ومنطقة البحر الكاريبي. لقد استمرت تجارة الرقيق لمدة تقرب من ٤٠٠ عام (أربعة قرون من الزمان)، تُعدّ أكبر حدث للترحيل الإجباري والقسري في تاريخ البشرية»[٤].

ويستمر قائلاً: «وما يؤلم أكثر في هذه المسألة، وينبغي الوقوف عنده والاهتمام به، هو المشاكل التي نجمت عن تاريخ هذه الظاهرة، كالاستغلال والقمع والتجريد من الهوية والهيمنة والغزو الثقافي والقهر، وغيرها من المشاكل، وليس جانب الإحصائيات ولغة الأرقام هو الذي يهم؛ إنما كونها مفاهيم بمثابة تراث ثقافي للشعوب السوداء»[٥].

أ- التجمعات والمؤتمرات البانافريقانية:

نظَّم الآباء المؤسسون جملة من التجمعات والملتقيات والندوات، تمت فيها مباحثة قضايا الشعوب السوداء ومشكلاتها المختلفة والصعوبات التي كانت تعاني منها، ودراسة آليات وضع خطط محكمة ومقترحات منطقية، لإيجاد حلول جذرية ونهائية لمشكلاتها[٦]. ومن هذه التجمعات ما يأتي:

١) مؤتمر لندن التأسيسي (١٩٠٠م):

يُعدّ مؤتمر لندن أول تجمع بانافريقاني على أرجح

---

(١) trajectoire historique, actualitŭs et respectives du panafricanisme/Seydou Ouŭdraogo, Acadŭmie Alioune Blondin pour la paix, Calavi Benin, p.4.

(٢) ينظر: البانافريقانية والتقدم: رؤية فلسفية، مرجع سابق، ص٤٩ وما بعدها.

(٣) ينظر: استعمار إفريقية، د. زاهر رياض، ص٨، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

(٤) ينظر: البانافريقانية تحليل تاريخ حركة فيدرالية، قدير ستيفان دابيري، ص٦٧ وما بعدها.

(٥) ينظر: البانافريقانية تحليل تاريخ حركة فيدرالية، قدير ستيفان دابيري، ص٦٧ وما بعدها. البانافريقانية والتقدم: رؤية فلسفية، مرجع سابق، ص٤٩ وما بعدها.

(٦) المرجع السابق.

الأقــوال، دعت إلى عقده طائفة من المثقفين الســود، من الذين درسوا الواقع المأساوي الذي يعيشه الإنسان الأسود دراسة تحليلية نقدية، وفهموه فهماً صحيحاً، وذلك في العام ١٩٠٠م، بالتحديــد ٢٣ إلى ٢٥ من شــهر يوليو، قرر هؤلاء المثقفون الدخول في نضالٍ دائم وكفاح مســتمر ضد الظلم والقهر والتميز الذي يمارســه البيــض ضدهم، لوضع حدٍّ له، والعمل على البحث عن ســبل التحرر والانعتاق للشعوب السوداء المضطهدة.

لقد ركــز مؤتمر لندن في جدول أعماله على دراســة قضايــا التنظيم وبناء الهيكل الجديــد للكيان، والعمل على وضــع جهاز إداري يمثل الشــعوب الســوداء كافةً، ويصبح متحدثاً باســمها ومدافعاً عن قضاياهــا؛ فتم وضع رابطة أخذت اسم «الجمعية البانافريقانية»، وعُيّن هنري سلفستر وليــام أميناً عامّاً لهــا، وبينيتو ســيلفيان مندوباً لإفريقيا، والقس والتر ألكسندر Walter Alxander، والقس هنري براون Henri Brown، رئيســاً ونائبه. وبذلك يُعدّ مؤتمر لندن بداية فعلية لتاريخ حركة البانافريقية[١].

وقد تمخضت مناقشات المؤتمر ومباحثاته عن قرارات وُجّهت إلى دول العالم، منها:

١- وجوب احترام أصالة الشــعوب السوداء في دولهم، والاعتراف باســتقلال الدول المستقلة منها، كدول الحبشة وليبيريا وهايتي وغيرها، وليتحلّ سكان هذه الدول وقبائلها وأممها المستقلة بالشجاعة والإقدام، وليكافحوا بلا توقف، وببسالة، من أجل إثبات حقهم الذي لا جدال فيه للعالم، حق كونهم جزءاً في مجتمع الناس.

٢- العمل على تشجيع تشــكيل أقسام محلية للجمعية البانافريقانية الجديدة في جميــع أنحاء إفريقيا والولايات المتحــدة وجزر الهند الغربية، وأينما توجد منظمات مماثلة لها، يجب العمل على ربطها بالجمعية البانافريقانية الأم من خلال مقرها الرئيسي.

٣- يجب على اللجنة التنفيذيــة للجمعية جذب انتباه جميع السود وإعلامهم بوجود الجمعية ومكتبها.

٤- عقد المؤتمرات بعد كل ســنتين، والمؤتمر القادم ســينعقد في الولايات المتحدة عــام ١٩٠٢م، والذي بعده ســينعقد في هايتي عام ١٩٠٤م، وسيتم تعيين أماكن عقد مؤتمرات أخرى فيما بعد[٢].

- الأوضاع بعد مؤتمر لندن:

ظلت الأوضاع بعد المؤتمر التأسيســي الذي عُقد في مسرح المدينة في لندن، على النحو الذي خططه المؤتمرون، وأضحت الأمور في تقدّم مستمر، والأفكار في تبلور وانتشار؛ إلا أن صعوبة الظروف وسوء الأوضاع الاقتصادية حالت دون انعقــاد أي مؤتمر أو أي ندوة على المســتوى الدولي، فقد تعذر عقد مؤتمر الولايــات المتحدة المزمع عقده في عام ١٩٠٢م، ومؤتمــر هايتي في عام ١٩٠٤م، كما كان مقرراً في البيان الختامي لمؤتمر لندن. وقد شــهدت هذه الفترة في عمر الحركــة اختفاء أبرز أعضائها وأكبر رواد تأسيســها كهنري سلفســتر وليام وغيره، وظهور وجوه جديدة، بأفكار جديدة، ونسخة أخرى للحركة البانافريقانية[٣].

٢) ملتقى باريس الأول (١٩١٩م):

لقد اســتطاع رواد الحركــة البانافريقانية العودة إلى مســرح المؤتمرات والتجمعات؛ لمناقشــة قضايا الشعوب السوداء، بعد انقطاع دام تسعة عشر عاماً. وبعد مضي عام فقــط على الحرب العالمية الأولى دعا الرائد البانافريقاني دي بوا W.E.B Du Bois إلى عقد ملتقى بانافريقاني في مدينة باريس الفرنســية، في الفترة من ١٩-١٩١٩/٢/٢٢م. وقــد تميز هذا الملتقى بظهور فكــرة جديدة وأكثر تطرفاً، من قِبَل البانافريقاني ماركوس غارفي Marcus Garvey، الذي كان يرى ضرورة عودة جميع السود إلى إفريقيا الوطن الأم، وضرورة الاحتفاظ بهــذا الجنس الزنجي فيها، وعدم

(١) ينظر: البانافريقانية تحليل تاريخ حركة فيدرالية، مرجع سابق، ص٦٧ وما بعدها. والبانافريقانية والتقدم: رؤية فلسفية، مرجع سابق، ص٦٤ وما بعدها.

(٢) ينظر: المرجع السابق. والبانافريقانية والتقدم: رؤية فلسفية، مرجع سابق، ص٦٤ وما بعدها.

(٣) ينظر: البانافريقانية تحليل تاريخ حركة فيدرالية، مرجع سابق، ص٦٧ وما بعدها. والبانافريقانية والتقدم: رؤية فلسفية، مرجع سابق، ص٦٤ وما بعدها.

اختلاطه بأجناس أخرى؛ ففي ذلك ضمان وسعادة للشعوب السوداء[١]. وقد شـهدت فترة انعقاد ملتقى باريس صراعاً أيديولوجيـاً مريراً بين «دي بوا» الذي يرى البقاء على أفكار الآباء المؤسسـين للحركة، و«ماركـوس غارفي» الذي يرى تعديل الفكرة، وجعلها أكثر تعصباً[٢].

وبدأ البانافريقاني غارفي نشاطه في مدينة كنغيستون الجامايكيـة، منذ عام ١٩١٤م، وأعلن فـي مدينة نيويورك الأمريكيـة، في العام ١٩٢٠م، عن ميـلاد جمعيته الجديدة التي سمّاها «الجمعية العالمية لتحسين أوضاع الزنوج»[٣].

خرج المؤتمرون في ملتقى باريس بتوصيات؛ أهمها:

١- يجب على القوى العظمـى المتحالفة وضع قانون دولي لحماية الشـعوب الإفريقية، علـى غرار قانون العمل الدولي.

٢- يجب على الجمعية البانافريقانية مراقبة التصويت علـى القوانين ومتابعتهـا، والعمل علـى تطبيقها، لصالح الشعوب الإفريقية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

٣- يلـزم العمل على إنهاء الاسـتعمار، وتوفير الحرية والانعتاق للشعوب السوداء في جميع أنحاء العالم.

٤- العمل على الاعتراف بحق الشـعوب السـوداء في المشـاركة فـي إدارة البلاد، وتولي المناصـب العالية في الحكومات[٤].

٣) ملتقى باريس وبروكسل (١٩٢١م):

وبعد مرور سـنة واحدة على تأسيس ماركوس غارفي للجمعية العالمية لتحسـين أوضاع السـود، الجمعية التي أنشأها على أساس العنصرية والكراهية ونبذ الآخر حسب زملائه، عقدت الجمعية البانافريقانية بقيادة البانافريقاني المعتدل «دي بوا» الملتقى في مدينة باريس وفي بروكسـل، وكان الهدف الأساسـي لعقده: الرد على النظرية العنصرية التي اقترحها البانافريقانـي ماركوس غارفي، والعمل على وجـوب الاعتراف بالآخرين وبحضارتهـم بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم، وإلزام الاحترام المتبادل بين الشعوب[٥].

٤) ملتقى لندن ولشبونة (١٩٢٣م):

عُقد ملتقى البانافريقاني الثالث في لندن ولشبونة في شـهرَي نوفمبر وديسـمبر عام ١٩٢٣م، وقد جاءت قراراته مؤكدة على قرارات البيان الختامي لملتقى باريس وبروكسل الماضي، حيث جدد المؤتمـرون عزمهم على تأصيل مبدأ المسـاواة بيـن الأجناس، وحـق كل فرد في نيـل الحرية والانعتاق بغض النظر عن لونه وجنسـه، وإدانة اسـتعمار الشـعوب ورفضه رفضاً باتّـاً، والمطالبة بإنهـاء التمييز العنصري في جنوب إفريقيا.

وقد جاء ذلـك كالآتي: «نحن نطالب بمعاملة السـود في كل مكانة معاملة الرجل الأبيض، لا نرى طريقاً للسـلام والتقدم سـوى في ذلك، ومن التناقض العجيب الذي يعيشه العالم اليوم أن يسـعى رئيس دولة جنـوب إفريقيا جاهداً لتحقيق السـلام والتقـدم في أوروبا؛ بينما تُسـحق أرواح ملايين من السود الأفارقة في بلاده»[٦].

٥) ملتقى نيويورك (١٩٢٧م):

بقيادة البانافريقاني وليام دي بوا؛ جاءت أعمال ملتقى نيويورك البانافريقاني في الشـهر الثامن لعام ١٩٢٧م، وقد تمخضت مناقشـاته عن قرارات ستة، نسردها في النقاط الآتية:

١- المطالبة بحق مشاركة السـود في إدارة حكومات بلادهم.

٢- المطالبـة بحـق ملكيـة الأراضـي، والعمل على اسـترجاع الأراضي المسـلوبة والمسـيطَر عليها من قِبَل البيض الأجانب.

٣- المطالبة بحق التربية والتعليم لجميع الأبناء.

٤- المطالبة بإنهاء الاستغلال الاقتصادي الاستعماري.

٥- المطالبة بإعادة تنظيم سوق العمل، لتعم المصلحة، ولا تنحصر مصلحته في فئة قليلة من الشعب.

(١) المرجعان السابقان.

(٢) المرجعان السابقان.

(٣) المرجعان السابقان.

(٤) المرجعان السابقان.

(٥) المرجعان السابقان.

(٦) المرجعان السابقان.

٦- المطالبة بالمساواة لكل بني البشر، بغض النظر عن اللون والجنس والفكرة والديـــن والأصل. وهذه النقطة تُعدّ جوهرية وأساسية في توصيات أغلب الملتقيات والمؤتمرات البانافريقانية[١].

- البانافريقانية في إفريقيا:

إن إفريقيـــا باعتبارهـــا الوطـــن الأم للبانافريقانيـــة ونشـــطائها على تباين نظرياتهم؛ فقد قررت بشـــكلٍ حيوي ورسمي الانضمام إلى الحركة التي عرفت الوجود منذ عدة عقود من الآن. والســـبب في ذلك ضعـــف تأثير المندوبين الذين تم تعيينهم لتمثيل القـــارة في الحركة. ومنذ الملتقى البانافريقانـــي الرابع في نيويورك؛ تطـــرق المؤتمرون إلى مباحثـــة قضية إخوانهم في الوطـــن الأم (إفريقيا)؛ فقرروا إشـــراكهم في النضـــال والكفاح اللذيـــن يخوضونهما منذ تأســـيس الحركة البانافريقانية في أولى جلســـاتها، وهذا مـــن ناحية، ومن ناحيـــةٍ أخرى تولدت رغبـــة مطلقة لدى ســـود إفريقيا في الانضمام إلى هذه الحركة متضامنين مع إخوانهـــم أفارقة الكاريبي وأمريكا في خوض صراع الحرية وكفاح الانعتاق معاً، وقد تقرر ذلك في الملتقى البانافريقاني الخامس الذي عُقد في مانشستر بإنجلترا[٢].

٦) ملتقى مانشستر (الخامس بعد المؤتمر التأسيسي) (١٩٤٥م):

يمتاز ملتقى مانشســـتر، الذي عُقد في الفترة من ١٣ إلى ٢١ أكتوبر عام ١٩٤٥م، بكونه نقطة تحوّل إســـتراتيجي للحركة البانافريقانية نحو الوطن الأم (إفريقيا)، كما أشـــار إلى ذلـــك البانافريقاني جورج بادمور Geoge Padmore في تصريحه الآتي: «لقد دخلت البانافريقانية مرحلة جديدة، تُعدّ مرحلة العمل الإيجابي وتنظيم ســـود إفريقيا، والتنظيم هو مفتاح الطريق إلى الحرية؛ ولذا أكد الملتقى الخامس في بيانه الختامي على أهمية تكوين جبهة موحدة بين المثقفين والعمـــال والفلاحين، من أجل كفاح مشـــترك ومنظم ضد الاستعمار والعنصرية والسيطرة»[٣].

وقد شاركت في ملتقى مانشستر كوكبة من مثقفي دول إفريقيا الأنجلوفونية، أمثال: أكيتولا Akintola، وأوولووو Awolowo، وجومـــو كنياتـــا Jomo Kenyatta، وولاس جونسون Wallace Johnson، وهوتنك باندا Hostings Banda، وكوامي انكورما Nkurma[٤]. **ونقطة التحول هذه تكمن أساساً في نقاط مهمة ثلاثة آتية:**

١- تحوّل قيادة الحركة البانافريقانية من قادة الكاريبي وأمريكا إلى قادة إفريقيا، أي من البانافريقاني وليام دي بوا إلى البانافريقاني كوامي انكورما.

٢- تركيز المطالبة على ضرورة إنهاء الاســـتعمار في إفريقيا.

٣- تراجع حدة صراع سود الكاريبي وأمريكا وغيرهما وكفاحهم في هذه الفترة، لأن السود المقيمين خارج إفريقيا على يقين أن تحرير إفريقيا مهم بالنســـبة لهم، لكونها أرض الوطن الأم، وتحريرها يســـهم بشكلٍ كبير في إنهاء معاناتهم في الكاريبي وأمريكا[٥].

ب- جهود قادة إفريقيا في البانافريقانية:

لقد بـــدأت مجموعة من المثقفيـــن الأفارقة بحركات المقاومـــة، ونشـــاطات المناهضة للاســـتعمار، والمطالبة بالتحرر الوطني، والاســـتقلال التام للـــدول الإفريقية من قبضة القوى الأجنبية المســـيطرة على أملاك أمتهم. وكان طبيعيـــاً أن يلتقي الكفاح الإفريقي مع كفاح ســـود الكاريبي وأمريكا في طريق عمل مشترك، لوضع أسس قوية، لمحاربة الظلم والقهر والاســـتغلال بكل أشـــكاله في إفريقيا وأينما كانت الشعوب السوداء في العالم.

وقـــد بدأ القائد الغاني كوامـــي انكروما جهوده بكتابة مؤلّف بعنوان (يجب على إفريقيا أن تتحد)، رسم فيه خططه

(١) ينظر: البانافريقانية تحليل تاريخ حركة فيدرالية، مرجع سابق، ص٦٧ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص٦٧ وما بعدها.

(٣) المرجع السابق، ص٦٧ وما بعدها.

(٤) trajectoire historique, actualitиs et respectives du panafricanisme, Seydou Ouиdraogo, Acadиmie Alioune Blondin pour la paix, Calavi Benin, p.6.

(٥) المرجع السابق.

والأســس والمفاهيم التي يراها ضروريــة في بناء الوحدة والاندمــاج والتكاتف الإفريقي القــوي والمؤثر؛ لمناهضة القوى الاستعمارية[١].

لم يكن الزعيم الغاني وحيداً في فكرة الكفاح والنضال من أجل الاســتقلال، وبناء كيان موحد على مستوى القارة، في تلك الفترة العصيبة في تاريخ إفريقيا؛ إنما كان تشاركه في الفكرة والمبدأ ثلّة من الرجال والعظماء، كالزعيم الغيني أحمد ســيكو توري، الوحيد الذي قال لفرنســا: لا للتبعية والعبوديــة- في الاســتفتاء الذي نظمه القائد الفرنســي الجنرال ديغول- بقوله: «نحن نفضل الحرية في الفقر على العبودية في الرفاهية»[٢].

ومــن الذين لهم همّة عالية في توحيد إفريقيا، وقدّموا في ســبيل ذلك كلّ غالٍ ونفيس، الأستاذ الباحث السنغالي الشــيخ أنتا ديوب، الذي كان يرى أن تحديد مبادئ تأسيس دولة فيدرالية إفريقية مســتقبلية وطرائقهــا تُعدّ ضرورة قارية ملحّة؛ لأن مثل هذا الكيان الجيوسياسي سيكون قادراً على تأمين إفريقيا وتحســين تنميتها. وقد وضّح الفكرة في مقدمة كتابه (التكامل الاقتصــادي، وجهات نظر إفريقية) بقوله: «يجب علينا أن نحوّل إفريقيا الســوداء بشكلٍ نهائي إلى منحــدر مصيرها فيدرالي [...]، فقــط دولة فيدرالية قارية أو شبه قارية هي التي توفر مجالاً سياسياً واقتصادياً آمناً لنا، ومســتقراً، ومن أجل ضمــان التنمية الاقتصادية العقلانية لبلداننا مع تنوعها»[٣].

وكذلك الزعيم الكيني جومو كينياتا وجوليوس نيريري وبتريــس لومومبا.. وغيرهــم، كلهم كانوا يــرون أن الحل النهائي لمشكلات إفريقيا هو الاستقلال والاتحاد والوحدة على مســتوى أبعد من أن يكون وطنية، ولهم قناعة راسخة بأن الحدود التي رسمها الاســتعمار ضد مصلحة إفريقيا، ويجب أن تُزال[٤].

وفــي مقابل ذلــك؛ وُجد قادة كانوا يــرون البقاء على التبعية الفرنســية بعد الاســتقلال، والعمل المشــترك مع القوى الاســتعمارية، من أبرز هؤلاء الزعيم العاجي فيليكس أوفوي بوانيي Felix Houphouet- Boigny وغيره. إن ظهور هذا القطب المؤيد لبقاء تأثير الاستعمار في إفريقيا قــد أدى إلى عرقلة المســير البانافريقاني، وإلى الأوضاع المأســاوية التي يعيشــها الأفارقة اليوم في بلدانهم. لقد عملت القوى الاســتعمارية على دعم هــذا القطب الرجعي ومســاندته بكل قواهــا، حتى ترجحت كفته على مســتوى الملتقيات والمؤتمرات التي عُقدت لمناقشة قضايا إفريقيا المتعلقة بالموضوع[٥].

إن مما تجدر الإشــارة إليه في هذا المبحث؛ هو كون القطبَين متفقَيــن على مبدأ الدفاع عن فكرة الاســتقلال والخروج من ربقة الاســتعمار، وهــذا الاتفاق أثمر وأعطى أُكُلَه، فقد أحرزت غانا استقلالها في ٦/ ٣/ ١٩٥٧م؛ لتصبح أول دولة إفريقية سوداء مستقلة، وبعدها غينيا كوناكري في ٢/ ١٠/ ١٩٥٨م، وتتابعت موجات اســتقلال الدول الإفريقية بعد ذلك[٦].

وقد كان موضوع ما بعد الاستقلال مطروحاً للمناقشة والمداولة في التجمعات والملتقيات، وأدت تلك المناقشات وتبــادل الآراء بين القطبَين (القطب البانافريقاني، والقطب الوطني) إلــى ظهور منظمــة الوحدة الإفريقيــة في عام ١٩٦٣م، بوصفهــا الحل الوســط بين فكرة بقــاء كل دولة إفريقية على الحدود التي رســمها الاستعمار، ويحتفظ كلٌّ بسيادته على مستوى وطنه؛ وبين فكرة دمج الدول الإفريقية

(١) panafricanisme ou postcolonialisme?, Charles Romain Mbele, No012, p.154. universitй de Yahondй, 2014 .revue scientifique du Cerphis.
والبانافريقانية والتقدم: رؤية فلسفية، مرجع سابق، ص٩٨ وما بعدها.

(٢) ينظر: البانافريقانية تحليل تاريخ حركة فيدرالية، مرجع سابق، ص٩٣ وما بعدها.

(٣) Cheikh Anta Diop 1923-1986. Marietou Diop et: autres/p8/www.cheikhantadiop.net

(٤) ينظر: الوحدة الإفريقية، محمد أبو الفتوح، ص٢١، دط، دار المعارف، القاهرة مصر، ١٩٦٥م.

(٥) ينظر: البانافريقانية تحليل تاريخ حركة فيدرالية، مرجع سابق، ص٩٠ وما بعدها.

(٦) المرجع السابق، ص٦٧ وما بعدها.

تحت كيان موحد، بمؤسسات موحدة، وحكومة موحدة على غرار التجربة الأمريكية التي آتت أُكُلَها، وصنعت من أمريكا قوّة عالمية فريدة، ويكون هذا الكيان تحت اسم «الولايات المتحدة الإفريقية»[١].

ولكن هذا الحل في الحقيقة كان هزيمة للحركة البانافريقانية، التي كافحت منذ بداية القرن من أجل توحيد جهود الدول الإفريقية تحت مظلة قوية واحدة، لمواجهة عقبات المصير الواحد، والتصدي لكل التحديات المشتركة التي تعرقل تقدّم جميع الشعوب الإفريقية وازدهارها. وكان من نتيجة هذه الهزيمة تراجع الفكرة البانافريقانية، واختفاؤها بعض الشيء من الساحة لعقود، وظل زمام الأمور بيد القطب الوطني إلى عام ٢٠٠٠م، عام إلغاء منظمة الوحدة الإفريقية، وظهور الاتحاد الإفريقي نتيجةً لعجز القطب الوطني في تقديم حلول جذرية لمشكلات إفريقيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية[٢].

ج- البانافريقانية وفيدرالية طلاب إفريقيا السوداء في فرنسا:

لا يكون من الإنصاف إذا لم نُشر إلى الحركة الطلابية التي أسهمت بشكلٍ كبير في تقدّم الفكرة البانافريقانية، وتطور أفكارها، إيماناً بالدور المحوري الذي يؤديه التعليم والتربية في تحرير الشعوب من الرق والاستعباد. قامت مجموعة من الطلاب الأفارقة السود في فرنسا بتأسيس جمعية طلابية في أوساط الطلاب والباحثين في فرنسا، أطلقوا عليها (فيدرالية طلاب إفريقيا السوداء في فرنسا)، وذلك خلال جلسة تأسيسية في مدينة بوردو الفرنسية عام ١٩٥٠م[٣].

وقد كانت من أهم أهداف تلك الفيدرالية جمع الطلاب الأفارقة كافة، الذين كانوا منضمين إلى تجمعات شتى في المدن الفرنسية، تحت كيان قوي ومؤثر يُسهم بشكلٍ جيد في دعم الكفاح البانافريقاني ضد الاستعمار وسيطرة فرنسا وغيرها على وطنهم الأم (إفريقيا). وفي المؤتمر الأول، الذي عقدته الفيدرالية في مدينة باريس، تطرق المؤتمرون إلى ضرورة توحيد جهود الطلاب الأفارقة من أجل تعاون مشترك وفعّال في دراسة مشكلات الوطن الأم إفريقيا، والعمل على إيجاد حلول جذرية لها[٤].

- الكتابة والتأليف لنشر الفكرة البانافريقانية:

ومن الجهود الطلابية في نشر الفكر البنافريقاني المشاركة في تأليف الكتب، وتأسيس المجلات العلمية والثقافية التي أسهمت في وضع أسس تأكيد الهوية الإفريقية، وتعزيز نضال الشعوب السوداء، وإيصال أصواتها الرافضة للهيمنة والسيطرة التي تمارسها قوى البغي والعدوان المتمثلة في الدول الغربية بصفةٍ عامة، وترويج الأفكار الإبداعية لأمة السود.

ومن هذه الكتب:

١- (خطاب حول الاستعمار)، للكاتب إيمي سيزار.

٢- (القتال من أجل إفريقيا) و (كفاح التجمع الديمقراطي الإفريقي من أجل إفريقيا جديدة)، للدكتور كوليبالي دانييل أوزين.

٣- (إفريقيا نحو الوحدة)، للسنغالي داربوسييه غابرييل.

٤- (الأمم الإفريقية والتضامن العالمي)، للسياسي السنغالي ديا مامادو.

٥- (الثقافية والتقنية والصناعية لدولة فيدرالية في إفريقيا السوداء) و(الأمم الزنجية والثقافة) و(من العصور القديمة الزنجية المصرية إلى المشاكل الثقافية في إفريقيا السوداء اليوم)، للشيخ أنتا ديوب.

٦- (تاريخ الثورات الإفريقية)، لجيمس سيريل.

٧- (يجب على إفريقيا أن تتحد)، للدكتور كوامي انكورما.

٨- (بانافريقانية أم شيوعية؟ الصراع القادم من أجل

(١) المرجع السابق.

(٢) ينظر: البانافريقانية تحليل تاريخ حركة فيدرالية، مرجع سابق، ص٦٧ وما بعدها. والبانافريقانية والتقدم: رؤية فلسفية، مرجع سابق، ص٦٤ وما بعدها.

(٣) ينظر: البانافريقانية تحليل تاريخ حركة فيدرالية، مرجع سابق، ص٦٧ وما بعدها.

(٤) المرجعان السابقان.

إفريقيا)، لجورج بادمور.

٩- (التجربة الغينية والاتحاد الإفريقي)، لأحمد سيكو توري.

١٠- (الزنجية والحضارة العالمية)، لسيدار سينغور[١].

ومن المجلات الثقافية التي ظهرت في ذلك الوقت: مجلة «الحضور الإفريقي»، التي أسسها الأستاذ عليون ديوب في عام ١٩٤٧م، واختار لها اسماً يليق بالوضع الإفريقي في ذلك الوقت، الوضع الذي لم يترك لإفريقيا أي قيمة حضورية في الأحداث والوقائع العالمية، هو اسم (الحضور الإفريقي). قال المؤسس مبيّناً المبدأ الذي أسس مجلته عليه: «ليست هذه المجلة تحت سيطرة أية أفكار سياسية، أو أية أيديولوجية فلسفية، إنما المجلة مفتوحة انفتاحاً تاماً على الجميع، من أجل تعاون مشترك بين العلماء والمفكرين ذوي النوايا الحسنة، بغض النظر عن اللون والجنس؛ من أجل العمل على التعريف بالأصالة الإفريقية، وتعزيزها في العالم المعاصر»[٢].

ثالثاً: أهم ما تتضمنه الأيديولوجية البانافريقانية:

بقراءة تأملية لأحداث المؤتمرات البانافريقانية، والأفكار التي تم طرحها من النخبة الرائدة للحركة نستنتج أن البانافريقانية حركة سياسية ونشاط ثقافي اجتماعي انطلقت من أجل طرح جملة من الأفكار والقضايا المصيرية المهمة لأمة السود، الأمة التي طالما عانت من الاضطهاد والتنكيل والاستعباد وتدنيس الكرامة من قِبَل الآخر الذي كان يرى نفسه أفضل ومتفوقاً عليها، له حق كامل في استرقاق أمة السود واستغلالها، والسيطرة على خيراتها ونهب ثرواتها.

وتتمثل هذه الأفكار في النقاط الآتية:

١- استعباد الشعوب السوداء واسترقاقها جريمة نكراء يجب العمل على إنهائه في جميع العالم إنهاءً تاماً.

٢- استعمار الشعوب الإفريقية إذلال ونهب وسرقة لجهود الآخرين يجب إيقافه.

٣- صون حرية الشعوب في تقرير مصيرها، مبدأ إنساني وحضاري، لا ينبغي تدخّل أحد في ذلك.

٤- العمل على الاستقلال الفوري للدول الإفريقية، وخروج المستعمر من إفريقيا بلا شرط ولا قيد.

٥- تقرير العدالة والمساواة بين شعوب العالم، بغض النظر عن الفوارق الطبيعية التي خُلق الناس عليها.

٦- تقرير حق الشعوب السوداء في العيش الكريم أينما كانوا، بعيداً كل البعد عن الإذلال والتمييز العنصري.

٧- إفريقيا وطن أم للشعوب السوداء، يجب العمل على صَونه والحفاظ عليه من كل سوء ومن كل كيد الأعداء.

٨- توحيد إفريقيا مطلب إنساني وعمل حضاري، يجب العمل على تحقيقه مهما كلف من الجهود.

٩- الحدود التي رسمتها قوى الاستعمار بين الدول الإفريقية وهمية وليس لها حقيقة.

١٠- العمل على إلغاء الحدود التي رسمها الاستعمار بين الدول الإفريقية، واعتبارها حدود الفرقة والتشتت والتجزئة ينبغي رفضها.

١١- تأسيس فيدرالية تضم الدول الإفريقية تُسمّى (الولايات المتحدة الإفريقية) على غرار الولايات المتحدة الأمريكية.

١٢- محاربة القوى الإمبريالية المتمثلة في الأفارقة المستغربين الذين تربوا على ثقافة الغرب وحضارته، ولهم العزم أن يعملوا لتنفيذ أهداف الغرب الاستعمارية في إفريقيا.

رابعاً: مظاهر تأثير حركة البانافريقانية في الواقع الإفريقي اليوم:

حركة البانافريقانية Pan-Africanism لها تأثيرٌ عميق ومستمر في الواقع الإفريقي اليوم، على المستويات السياسية، الاقتصادية، الثقافية، والاجتماعية. فيما يلي بعض مظاهر هذا التأثير:

١) الوحدة السياسية والتعاون الإقليمي:

(١) prйsence Afrique une tribune, un mouvement, un rйseau, Sarah Frioux, musйe quaiBranly, Paris 2010, p.3-10.

(٢) ينظر: أعمال الندوة العالمية، الاتحاد الإفريقي بين بانافريقانية والاندماج الإقليمي، ص٣. نظمت من ٢٦ إلى ٢٠٢٣/١٠/٢٨م، المركز العالمي للبحث والتوثيق/ غينيا كوناكري.

- **الاتحاد الإفريقي (AU):**

يُعتبر الاتحاد الإفريقي تجسيداً مباشراً لفكر البانافريقانية، تأسس في عام ٢٠٠٢م كتطور لمنظمة الوحدة الإفريقية OAU التي أُنشئت في عام ١٩٦٣م. الاتحاد الإفريقي يسعى إلى تعزيز الوحدة والتعاون بين الدول الإفريقية، وحل النزاعات الإقليمية، ودعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

- **المجموعات الاقتصادية الإقليمية:**

مثل الجماعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا ECOWAS، والسوق المشتركة لشرق وجنوب إفريقيا COMESA، التي تعمل على تعزيز التكامل الاقتصادي والسياسي بين دول المناطق المختلفة، وهو أحد أهداف البانافريقانية[١].

- **وحدة الشعوب الإفريقية:**

كان للقومية الإفريقية مهمتان متلازمتان فيما يتصل بتصحيح الظلم التاريخي المتمثل في العبودية والاستعمار والعنصرية: (تحرير إفريقيا، وتوحيد إفريقيا وشعبها)، ومن المتعمد أن يتم تضمين عبارة «شعبها» في السعي إلى الوحدة، وهو اعتراف واعٍ بحقيقةٍ مفادها أن وحدة البيروقراطية (الدول) في نهاية المطاف غير مكتملة بدون وحدة الشعب، وهزيمة القبلية والقومية الإفريقية الإقليمية الضيقة[٢]، وهي المشاعر التي تجتاح العديد من الشعوب الإفريقية، ويظهر ذلك من خلال تضامن الشعوب الإفريقية مع الثورات أو التحركات الشعبية التي تجتاح شوارع عدد من الدول الإفريقية خلال السنوات الماضية، من أمثلة ذلك تضامن شعوب القارة مع شعوب غرب إفريقيا في تحررها من التبعية الفرنسية بعد الانقلابات الأخيرة، أو التضامن الذي اجتاح وسائل التواصل الاجتماعي خلال الانتفاضة التي شهدتها كينيا خلال شهر يوليو من عام ٢٠٢٤م.

٢) تعزيز الهوية الإفريقية المشتركة:

- **الثقافة والتعليم:**

تأثر العديد من الأنظمة التعليمية في إفريقيا بفكر البانافريقانية، حيث يتم تدريس التاريخ الإفريقي المشترك، وتسليط الضوء على الإنجازات الثقافية والعلمية للقارة.

- **الفنون والإعلام:**

الفنانون والمثقفون الأفارقة يستخدمون موضوعات وأفكار البانافريقانية لتعزيز الوعي بالهوية الإفريقية المشتركة، الأفلام والأدب تُستلهم من هذه الأفكار لتعزيز التضامن بين الأفارقة.

٣) النضال ضد الاستعمار والعنصرية:

- **دعم حركات التحرر الوطني:**

تاريخياً؛ دعمت البانافريقانية النضالات ضد الاستعمار والعنصرية في القارة. واليوم؛ تواصل تأثيرها في تعزيز النضالات ضد أي شكل من أشكال الاستعمار الجديد، والتمييز العنصري، وعدم المساواة على المستوى العالمي.

لا تزال القوى والظروف الإمبريالية الجديدة والرأسمالية العنصرية تحدد النظام الرأسمالي العالمي، بل إنها أصبحت أكثر شراسةً بسبب العولمة النيوليبرالية. إن تزايد إضفاء الطابع الأمني على إفريقيا من خلال بناء القواعد العسكرية للقوى العالمية، سواء القديمة أو الناشئة، هو أحد المؤشرات الرئيسية لاستعمار القوة. وعلى الرغم من أن القوميين الأفارقة الأوائل أرادوا إنشاء نظام عالمي عادل ومنصف، يعترف بالتنوع العالمي ويحترمه ويضمن تكامل التنمية، فإن تحقيق هذا الهدف لم ير النور في كثيرٍ من الأحيان[٣].

- **القضايا الحقوقية:**

تستمر البانافريقانية في إلهام الحركات الحقوقية الإفريقية والدولية، التي تسعى لتحقيق العدالة الاجتماعية

(١) Pan-Africanism Reborn, at: https://africacentre.org/spotlight/pan- africanism- reborn

(٢) David Maimela, Pan-Africanism of- the 21st Century Challenges and Prospects, The Journal of the helen Suzman Foundation | ISSUE 71 | november 2013, p.35.

(٣) Samuel Ojo Oloruntoba - (Re) Negotiating Existence: Pan- Africanism and the Role of African Union in a Changing Global Order, at: https://doi.org/10.1093/isagsq/ksad045

ومكافحة العنصرية في الشتات الإفريقي وخارج القارة.

٤) التكامل الاقتصادي والتنمية المستدامة:

- اتفاقية التجارة الحرة القارية الإفريقية AfCFTA:

التي تـم إطلاقها في عام ٢٠٢١م، تهدف إلى إنشـاء سـوق إفريقية واحدة تشـمل السـلع والخدمـات، وتعزز التعـاون الاقتصادي بين الدول الإفريقية، مما يعكس الرؤية الاقتصاديـة للبانافريقانية في تحقيق التنمية المسـتدامة للقارة.

- التعاون في مشروعات البنية التحتية:

تعمل الدول الإفريقية على تنفيذ مشـاريع بنية تحتية كبرى، مثل شـبكة الطرق والسـكك الحديدية عبر القارة، بهـدف تعزيـز التكامل الاقتصـادي، وهو جـزء من رؤية البانافريقانية لتحقيق الازدهار الإفريقي.

٥) تأثير على التعليم العالي والبحث العلمي:

- المؤسسات الأكاديمية:

تأثـرت الجامعـات والمؤسسـات الأكاديميـة بفكر البانافريقانيـة من خلال تطوير برامج دراسـات إفريقية، وتعزيـز البحث العلمي في مجالات التاريخ والثقافة والعلوم الاجتماعية الإفريقية.

- مراكز الفكر البانافريقاني:

تم إنشـاء مراكز بحثية وأكاديمية مخصصة لدراسـة وتطوير الفكر البانافريقاني وتعزيـزه في القارة وخارجها، مما يساهم في تطوير سياسات تدعم الوحدة الإفريقية.

٦) التعاون في مواجهة التحديات العالمية:

الاسـتجابة للأزمات العالمية: تأثـرت إفريقيا بفكر البانافريقانية في استجابتها الجماعية للتحديات العالمية، مثل جائحـة COVID-١٩، حيث تعاونت الدول الإفريقية من خلال الاتحاد الإفريقي للحصول على اللقاحات وتبادل الخبرات والمعلومات، ممـا يُظهر وحدة القارة في مواجهة الأزمات.

هـذه المظاهر تعكس كيف أن فكـر البانافريقانية لا يـزال يؤدي دوراً حيوياً في تشـكيل مسـتقبل إفريقيا من خلال تعزيز الوحدة، والتعاون، والوعي الجماعي بين الدول والشعوب الإفريقية.

وبعـد هذا العرض الموجـز للحركـة البانافريقانية؛ نخلص الآن إلى الشـق الثانـي للموضوع الذي هو «الحركة الكيميتية».

المحور الثاني: الكيميتية الدلالة والنشأة والتاريخ وأهم الأفكار والأطروحات ومظاهر التأثير:

من الحركات التي ظهرت في أوسـاط النخبة المثقفة للشـعوب الإفريقية، في العقود الأولى من القرن الماضي، معبّرةً عن رفض الاسـتغلال والاسـتعمار، ومناهضةً للقهر والإذلال الذي مارسـته الشـعوب البيضـاء ضدها، حركة الكيميتية، التي تدعو الشـعوب السـوداء كافةً إلى العودة إلى المعتقدات الإفريقية القديمـة الموروثة من أجدادهم الفراعنة في الحضارة المصريـة القديمة، وتزعم أن ذلك هو الحل الأمثل لمشـكلات الشعوب السـوداء الحضارية والثقافية.

أولاً: دلالة الكيميتية:

يرجع أصل كلمة «الكيميتيـة» إلى الحضارة المصرية القديمة وإلى تاريخها العتيق، وإلى لغة الشـعوب السـوداء التي عمّرت هذه البقعة من العالم. كانت مصر القديمة تعبّر عن اللون الأسـود بكلمة (كما)، وعن الأرض السوداء بكلمة (كميـت). وقد ورد في الحوليـات التاريخية أن المصريين القدمـاء كانوا يطلقـون على وطنهم كلمـة (كميت)، وعلى شريط نهر النيل الذي أصبح خصباً بسبب سواد تربته[١].

وقد أرجـع بعض الباحثين أصل كلمـة الكيميتية إلى قصة سيدنا نوح عليه السـلام وأبنائه الثلاثة (سام، وحام، ويافث)، كما أوردتـه المصادر النصرانيـة. يقول الدكتور كلوديل نوبيسي في محاضرة له: «إن كلمة الكيميتية اشتُقت من كلمة (كام) اسم ابن سيدنا نوح عليه السلام الذي عُرف بـ(حام) أيضاً، وقد كان أكثرهم سـواداً، وهو الذي عاد إلى الوطن الأم بعد الطوفان، فعُرفـت ذريته بالكيميتيين، وأما أخواه سـام ويافث؛ فقد فضل الأول بلاد الشـام واتخذها موطناً له، وأُطلق على ذريته السـاميّون، والثاني بقي حيث

(١) ينظر: البانافريقانية تحليل تاريخ حركة فيدرالية، مرجع سابق.

استقرت السفينة بهم في تركيا، فذريته هم اليافثيّون»[١].

وأمـــا الدلالة الاصطلاحية لكلمة الكيميتية؛ فيحســـن اســـتعراض آراء المفكرين ووجهات نظر الباحثين الأفارقة في ذلك.

يرى بعـــض الباحثين أن الكيميتيـــة حركة دينية تدعو إلى ممارسة عبادة الآلهة المصرية القديمة باعتبارها ديانة الأســـلاف من الآباء والأجداد. ويعرّفها الباحث في قســـم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتمـــاع بجامعة بواكي والمتخصص في الأديان الأســـتاذ بوني غيبلهـــون Bony Guiblehon بقوله: «الكيميتية حركة روحانية، تدعو الشعوب السوداء إلى العودة إلى أصول عبادة الأجداد ومعتقداتها؛ لكونها الشروط الوحيدة للنهضة الإفريقية، والبعث الإفريقي من جديد»[٢].

وأما المفكر الســـنغالي وعالم الاجتماع الأســـتاذ عبد القادر سانوغو، فيقول: «لكي نفهم الكيميتية؛ يجب أن نفرّق بين جانبها الثقافي والدينـــي، فالحركة الكيميتية كانت في جوهرها ثقافية تسعى إلى إثبات الوحدة والترابط والاندماج بين الشعوب السوداء، من جانب اللغة والثقافة. ولكن تَطَوُّرَ أيديولوجيتهـــا نحو تبنّي أفكار روحية ومعتقدات دينية جعل منها طائفة دينية مســـتقلة، فهـــي اليوم تجمع مجموعة من المعتقدات والممارسات المستوحاة من الديانة الشركية في مصر القديمة»[٣].

ثانياً: نشأة الكيميتية كحركة:

بـــدأت الكيميتية بكونهـــا كياناً أيديولوجياً ونشـــاطاً دينياً اتخذ المعتقدات المصرية الشـــركية القديمة أساس منظومتهـــا الدينيـــة والعقائديـــة، في الولايـــات المتحدة الأمريكية. فـــي النصف الثاني من القرن العشـــرين؛ ظهر الكيان على يد النخبة المثقفة المناهضة للسيطرة والتمييز العنصـــري العرقي والظلم الذي كان يُمارَس ضد الشـــعوب السوداء في العالم.

تعود بدايـــة انطلاقة جذور الفكرة إلـــى العمل العلمي الذي أنجزه الباحث والمفكر والمؤرخ الســـنغالي الشيخ أنتا ديوب، أقصد دراسته المشهورة عن أصل الحضارة المصرية التـــي تقدّم بها لنيـــل درجة التخصص الدقيـــق (الدكتوراه) بعنوان: (الأمـــم الزنجية والثقافة)، لقـــد أثبت الباحث بعد دراســـة ومتابعة وتقصّي الأحـــداث والوقائع نظرية مفادها: أن الحضـــارة المصريـــة القديمة- أم حضـــارات العالم-، وأهراماتها العملاقة، واكتشافاتها العلمية والفكرية والفلسفية والحضارية زنجية، من جهود الشـــعوب السوداء التي طالما قيل عنها: إنها شـــعوب بليدة خاملة لم تقدّم شيئاً للحضارة الإنسانية. جاءت أطروحة الأستاذ ديوب بمباحثها وأفكارها وقضاياها؛ مزلزلةً لأقدام العلماء والمفكرين والباحثين الذين كانوا قد أسندوا أمومة الحضارة الإنسانية إلى بلاد اليونان؛ الذين لـــم يخفوا معارضتهـــم الشرســـة، وانتقادهم القوي ورفضهم الكامل للفكرة التي طرحها الشيخ أنتا ديوب.

إذا كان مهندســـو الحضـــارة المصريـــة القديمة (أم الحضـــارات العالمية) هم الكيميتيون فـــي الأصل؛ فلماذا لا تعود الشـــعوب الســـوداء إلى المنظومة الدينية وعقائد أجدادهـــم الكيميتيين، وتتبنّى معتقداتهـــم في المجتمعات الإفريقيـــة المعاصـــرة؛ إذا أرادت حلاً أمثل لمشـــكلاتها النهضوية اليوم؟، تســـاؤلات طرحتها مجموعة من المثقفين الســـود في الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الثاني من القرن العشـــرين، وعلى رأســـهم الباحثة تمارا سيأودا Tamara Siuda مواطنة شـــيكاغو، والكاتب كلالا نيوسير أوموتندي المواطن الغواديلوبـــي، الذي أصبح رائد الحركة الكيميتية وناشطها الذي لا يعرف كدّاً ولا تعباً[٤].

- الشيخ أنتا ديوب والكيميتية:

يـــرى بعض الباحثين أن جل دعـــاة الكيميتية يزعم أن الباحث السنغالي الشيخ أنتا ديوب هو المدرسة الأولى التي صاغت النظرية الكيميتية، ودعا إلى اعتناقها. ويرى البعض الآخر أن ذلك كذب وافتراء وزعم باطل ليس له أي أســـاس

(١) http//www.youtube.com, Dr. Claudel Noubissie, 10 pour comprendre les kamites.

(٢) www.sepafar.bf, Le kemitisme ou le kamitisme, Abbй Justin ZANGRE, Documentation, 18 Juillet 2023.

(٣) Ibid.

(٤) Ibid.

علمي؛ لأن الشيخ أنتا لم يكن كيميتياً، ولم يدع إلى الكيميتية في أيٍّ من مؤلفاتها. إنما الذي عمله الشـــيخ أنتا ديوب في أعماله العلمية، وهو البحث عن جذور الحضارات والثقافات الإنســـانية، من أين بدأت، وكيف بدأت، وعلى يد من بدأت، وتحديداً ما مدى التقارب الثقافي بين الشـــعوب الســـوداء، وهل ثمة إمكانية توحيدها من أجل بناء كيان إفريقي موحد بكل مؤسساته؟؛ تســـاؤلات حاول الباحث أنتا ديوب الإجابة عنها من خلال دراساته المختلفة، وبخاصة في كتابه: (الأمم الزنجية والثقافـــة)، وكتابه (حضارة أم بربرية). ومن الذين يرون هذا الـــرأي صاحبة بحث (الكيميتية وعلاقتها بحركة الوحدة الإفريقية (البانافريقانيـــة) قراءة في أحداث مالي الأخيرة) في قولها: «ويزعم أصحاب الكيميتية أنهم استمدوا فكرتهم من نظرية شـــيخ أنتا ديوب. ديوب بريء منهم، لأنهم لم يقدّموا دليلاً واحداً على زعمهم هذا، وحســـب الســـيرة الذاتية لديوب أنه لم يكن وثنياً؛ بل كان مســـلماً، بدأ دراسته بتعلّم القرآن الكريم في قريته ديوربيل، وهو في السن الرابع أو الخامس، قبل أن يلتحق بالثانوية في داكار، ومن ثم جامعة الســـوربون بباريس للدراســـات العليا والمعمقة؛ حيث بلور نظريته، ليثبت أسبقية الحضارة الإفريقية، لم يُسمع منه أن طعن في الدين كما يقوم به الكيميتيون الآن»[١].

ومـــن الجدير بالذكر؛ أن الشـــيخ أنتا ديـــوب، وإن لم يقـــل بالكيميتية صراحة، ولم يدع إليهـــا، كما ترى الباحثة؛ إلا أنه فتـــح الباب على مصراعيه أمـــام الكيميتية ودعاتها مـــن النخبة المثقفة بالثقافة الغربية التي كانت تعيش فراغاً فكرياً كبيـــراً في المجتمع، وذلك فـــي تصريحاته في كتابه (حضارة أم بربرية)، حيث قال: «**وبقـدر ما تكون مصر القديمة هـي الأم البعيـدة للعلـوم والثقافـة الغربيـة، كما سيتضح مـن قراءة هـذا الكتـاب؛ فإن معظم الأفكار التي نسميها أجنبيـة هي ليست في الغالب إلا مجرد صور، غير واضحة، أو معكوسة، أو معدلة، أو متقنة مـن إبداعـات أسلافنا: اليهوديـة، المسيحية، الإسـلام، الديالكتيك، نظريـة الوجود، العلـوم الدقيقة، الحساب، الهندسة، الميكانيكا، علم الفلك، الطب، الأدب (الرواية، الشعر، الدراما)، الهندسة المعمارية، الفنـون، إلـخ.؛ وكمـا تأتي اليـوم التكنولوجيـا والعلـوم الحديثة من أوروبـا، وكذلـك كانـت تتدفق المعرفـة العالمية مـن وادي النيل إلى بقيـة العالـم في العصـور القديمة، وخاصـةً إلى اليونـان، التي كانت بمثابـة حلقـة وصـل. وفي الواقـع لم توجـد أية فكرة، فـي جوهرها، كانـت غريبـة عن إفريقيا، التي كانت أرض ميلادهم. ولذلك؛ يجب علـى الأفارقـة، بكل حرية، أن يعتمدوا علـى التراث الفكري الإنساني المشـترك، وأن يهتـدوا بمفاهيـم المنفعـة والفاعليـة». « الإفريقـي الـذي فهمنا هو الـذي، بعد قراءة أعمالنا، سيشعـر في داخله بميلاد رجـل آخـر، يحركه وعي تاريخي، مبدع حقيقـي، يحمل بذور حضارة جديـدة، ويدرك تمامـاً أن ما في الأرض كلها تديـن لعبقرية أجداده في جميع مجالات العلوم والثقافة والدين»**[٢].

وقـــد نتج عن هـــذا التصريـــح مواقـــف خطيرة من الكيميتيين الذين أسندوا به تعريفاً للكيميتية إلى الشيخ أنتا ديـــوب، وقالوا إنه من عرّف الكيميتية به، وعليه؛ فقد جعلوا أفكاره مرجعية لهم في الفكرة الوثنية التي تبنوها. قال أحد الكيميتيين: لقد قدّم لنا الشـــيخ أنتـــا ديوب تعريفاً حقيقياً للكيميتية في كتابه (حضـــارة أو بربرية)، بقوله: «الإفريقي الذي فهـــم الكيميتية، هو رجل آخـــر نموذجي، يقوده وعي تاريخـــي. الكيميتي هو مبدع حقيقـــي، حامل بذور حضارة جديدة. الكيميتـــي هو من يدرك تمامـــاً أن ما في الأرض كلها تدين لعبقرية أجداده في جميع مجالات العلوم والثقافة والدين»[٣].

وكذلـــك يقول كلالا أوموتندي: «إن العلاقات التي بين الثقافـــة الإفريقية والثقافة المصرية القديمة (اللغة والعادة والدين...)، التي ينتمي إليها هـــذا الفرع (الكيميتية)، تجد أصولهـــا في أعمال المؤرخ والمتخصص في علم الإنســـان الشيخ أنتا ديوب»[٤].

---

(١) ينظر: الكيميتية وعلاقتها بحركة الوحدة الإفريقية البانافريقانية: قراءة حول أحداث مالي الأخيرة، مدينة بارو. بتصرف. www.afrikatrends.com

(٢) civilisation ou barbarie, Cheikh Anta Diop, 1981.

(٣) la chaone de la culture africaine et de son histoire/qu'est ce qu'un Kamete?/sound cloud. .com/noir kemet/06/08/2022

(٤) ينظر: الموسوعة الحرة، ويكبيديا، كلمة الكيميتية، في

- كلالا أوموتندي ونشر الفكرة الكيميتية:

يمكن القـول إن الكاتـب كلالا أوموتنـدي Kalala Omotunde، نزيل غوادلوب في القارة الأمريكية، هو من أعاد النظر في أطروحة الباحث السنغالي الشيخ أنتا ديوب، واسـتنتج منها أفـكاراً وأيديولوجيات بنـى عليها منظومة الحركة الكيميتية الشـركية. وقد عمل بكل جهد على نشر الفكرة في أوساط شباب إفريقيا السوداء، بأساليب ووسائل عديدة ومتنوعة. قام بسـفرات إلـى عديد من دول إفريقيا مثـل مالي والكاميـرون وبنين وغيرها، حيـث نظّم دورات وملتقيات وندوات، وألّف عديداً من الكتب، شرح فيها الفكرة الكيميتية، وأكـد فيها ضرورة العودة إلى المنظومة الفكرية والمعتقدات الدينية للشـعوب المصرية القديمة باعتبارهم الكيميتيين الأوائل، وجعلها شـرطاً أساسياً لخروج الشعوب الإفريقية من التخلف والتأخر والضعف الذي تعاني منه[١].

من أجل تكثيف جهود تربية الشباب الإفريقي وتوعيتهم على مبادئ الحركة، وتعزيز دراسة العلوم الفكرية والإنسانية الإفريقية الكلاسـيكية، كجزء متمـم للعمل التاريخي الذي بدأه الباحث السـنغالي الشـيخ أنتا ديوب؛ قام أوموتندي بإنشـاء جملة مـن المعاهد العلمية، منهـا معهد أنيجارت للتاريـخ الإفريقي فـي غوادلوب، وكذلـك معاهد الأقمار الصناعيـة في كلٍّ من كندا وغويانا ومارتينيك وهايتي. ومن ضمن أعماله مشاركته في إنشـاء (معهد أفريقامات) عام ٢٠٠٤م في مدينة باريس الفرنسية[٢].

ثالثاً: الكيميتية والمعتقدات الوثنية:

لم تعد الكيميتية مجرد حركة فكرية ونشـاط ثقافي؛ إنما هـي منظومة دينية مبنية على معتقـدات وثنية لبلاد مصـر القديمة المتمثلة فـي عبادة آلهة متعـددة. يعتقد الكيميتيون أن دين الشـعوب الزنجية من اختراع المصريين القدماء، اقترحوه من أجل تعزيز الكيان الروحي في الإنسان الأسود، ومن أجل تعزيز المعرفة والحكمة والكمال الأخلاقي لديه؛ ليسـتوعب الفضائل والقيم فـي حياته[٣]. وعلى هذا الأساس يعبد الكيميتي العناصر الطبيعية، وأرواح الأسلاف، يسـمّي العبادة الموجهة إلى الآلهة فـي المعابد والخلوات بـ«سـينوت» Senout، والتـي تُوجَّه إلى أرواح الأسـلاف بـ«أخو» Akhou. وقد جعلت الميثولوجيا المصرية للآلهة أسماء، **يمكن تلخيص بعضها في النقاط الآتية:**

١- الإلـه ماعـت Maat: وهـو إله النظـام الكوني والعالمي، المعني بتجسيد الحق والعدالة.

٢- الإله هورس (حورس) Horus: وهو من كبار الآلهة في المعتقدات المصرية القديمة.

٣- الإله أوزيريس Osiris.

٤- الإله أتون Aton.

٥- الإلهة هاتهور (حتحور) Hathor.

وغيرها من الآلهة الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى[٤].

شعار الكيميتية:

وقـد اتخذت الكيميتية رمـزاً يمثل معتقد بلاد مصر القديمة، وهذا الرمز الـذي أطلقوا عليه كلمة «آنخ» (عنخ) Ankh عبـارة عن صليب ملون بلون ذهبي، أشـبه ما يكون بالصليب المسـيحي. يلبسه الكيميتي في اليد أو في العنق، وقـد يوضع تحت أنف المتوفى. وكلمة «آنخ» تعني (الحياة)، أو (أنـا) في اللغة المصرية القديمة. وقد اعتقد المصريون القدماء أن إقامتهـم على الأرض جزء من حياة أبدية أكبر؛ لذلـك يرمز الصليب إلـى الوجود البشـري على الأرض، وكذلك وجودهم الخالد في حياتهم الآخرة[٥].

رابعاً: مظاهـر التأثيـر الكيميتـي فـي واقـع إفريقيـا اليوم:

يمكن ملاحظـة التأثير الكيميتي على الواقع الإفريقي اليـوم مـن خلال مجموعـة مـن المظاهـر الاقتصادية

الموقع: www.ar.wikipedia.org

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) collection recherchйs et regard d'Afrique/ l'йcriture de la renaissance africaine; une thйrapie de la crise psychologique Kamite, Kouassi Adja-.ka, Vol.1, No.1, universitй FHB d'Abidjan, p.266

(٤) ينظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، كلمة الكيميتية، مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق.

والاجتماعية والثقافية:

١) إعادة تقييم الهوية الإفريقية:

عملت الحركة الكيميتية على إعادة بناء الهوية الإفريقية الحديثة من خلال الاهتمام بالديانات القديمة خاصةً ديانات مصر القديمة، هذا التأثير يظهر في إعادة صياغة المناهج التعليمية في بعض الدول الإفريقية لتشمل دراسة أعمق للتاريخ والديانات المصرية القديمة كجزء من التاريخ الإفريقي. لذلك زادت المطالبات بضرورة عدم الفصل بين تاريخ مصر القديمة وتاريخ إفريقيا، وعدم إزاحتها عن إفريقيا ثقافياً في مواجهة استحالة إزاحتها جغرافياً، باعتبار ذلك عملاً استعمارياً يدعم فكرة المركزية الأوروبية. في حين أن عملية إعادة ربط مصر القديمة ثقافياً بإفريقيا هي عمل من أعمال إنهاء الاستعمار، ودعم للبحث العلمي القائم على فكرة المركزية الإفريقية. ويطالب سيمفيوي سيسانتي Simphiwe Sesanti، أكاديمي من معهد دراسات النهضة الإفريقية- جامعة جنوب إفريقيا، بضرورة الدفاع عن مركزية الفلسفة المصرية القديمة، وتضمينها في المناهج الدراسية للمؤسسات التعليمية العليا الإفريقية، باعتبارها تحقيقاً لسعي الطلاب الأفارقة إلى الحصول على تعليم إفريقي مركزي خالٍ من الاستعمار[١].

٢) الفن والثقافة:

تأثرت الفنون البصرية والأدبية في إفريقيا بالحركة الكيميتية، حيث استلهم العديد من الفنانين الأفارقة رموزاً وموضوعات مستمدة من الحضارة المصرية القديمة. يُرى هذا في التصاميم الفنية، الموضة، والأفلام والأغاني التي تستوحي عناصرها من الثقافة المصرية القديمة، وتدمجها في السياقات الإفريقية الحديثة.

وعبّر موسيقيو الجاز الأفرو-أمريكيون من أمثال سيسيل تايلور Cecil Taylor وفرعون ساندرز Pharoah Sanders عن ارتباط شخصي بمصر القديمة من خلال أسمائهم المسرحية وعناوين أغانيهم وكلماتهم وفنون أغلفة ألبوماتهم. كما تم إسقاط الماضي القديم على المستقبل، وهذا الاقتراض من مصر القديمة لبناء سرديات حول المستقبل هو فرع من حركة الفن الجديدة المسماة أفروفوتشوريزم Afrofuturism، وكان أحد فنانيها الرائدين عازف الجاز «صن رع» Sun Ra، واسمه الحقيقي (هيرمان بول بلونت)، لكنه تخلى عن اسمه وأطلق على نفسه «إله الشمس المصري».

كان تأثير صن الفني كبيراً ولا يزال يتردد صداه حتى يومنا هذا، على سبيل المثال فرقة الهيب هوب (سا- رع)، والتي تعني (ابن رع)، وقد ألهم العديد من الفنانين الأفروأمريكيين الآخرين لدمج عناصر مصرية في موسيقاهم[٢].

ومن الأفلام التي تأثرت بالحركة الكيميتية فيلم (الملكة كليوباترا) Queen Cleopatra ٢٠٢٣م، والذي أثار جدلاً واسعاً بعد عرضه من خلال منصة نتفليكس، حول هوية الملكة المصرية: هل هي بيضاء البشرة أو سوداء كما يصورها الفيلم؟[٣].

٣) الحركات الدينية والروحية:

نشأ عدد من الحركات الروحية والدينية مستوحاة من الكيميتية القديمة، من أبرزها حركة (إعادة البناء الكيميتي)، وهي حركة يتبناها العديد من الممارسين الروحيين المعاصرين الذين يرغبون في العودة إلى الطريقة المصرية التقليدية (الكيميتية)[٤].

وحركة «الكيميتية الجديدة» أو (الأرثوذكسية الكيميتية) التي تأسست في عام ١٩٨٨م على يد «تامارا ل. سيودا» (١٩٦٩م)، وتسعى إلى إحياء الطقوس التي تمارس في مصر القديمة (الكيميت). وأتباع هذه الحركة يعتبرون

---

(١) Simphiwe Sesanti- Teaching ancient Egyptian philosophy (ethics) and history: Fulfilling a quest for a decolonised and Afrocentric education. https://www.scielo.org.za/scielo.php?script=sci_arttext&pid=S2221- 40702018000200002

(٢) https://antiquipop.hypotheses.org/eng/8761eng

(٣) https://linksshortcut.com/OQVmS

(٤) https://kemeticallyspeakingblog.wordpress.com/tag/kemetic- reconstructionism

«سيودا» تمتلك جزءاً من روح «حورس»، ويعملون على إعادة بناء معتقدات هذه الحركة وممارساتها من خلال نصوص المصدر الأساسي، مثل نصوص الأهرام وكتاب الموتى المصري، ولهم وجود على الإنترنت[١].

هذه الحركات تجد انتشاراً بين الأفارقة في القارة وفي الشتات، ممن يبحثون عن مواجهة العنصرية الأوروبية بالبحث في التاريخ الإفريقي القديم.

٤) النقاشات الأكاديمية:

أثّرت الكيميتية بشكلٍ كبير على النقاشات الأكاديمية حول تاريخ إفريقيا، وخاصةً في مجالات التاريخ، الأنثروبولوجيا، وعلم المصريات. العديد من الباحثين الأفارقة باتوا يعيدون النظر في دور مصر القديمة ضمن السياق الإفريقي الأوسع، ويقدّمون دراسات تؤكد الترابط الثقافي والتاريخي بين شمال إفريقيا وبقية القارة.

ومن أشهر النقاشات أطروحة شيخ أنتا ديوب (١٩٢٣-١٩٨٦م) للدكتوراه عن مصر القديمة، حيث رفضها العلماء المشرفون على الرسالة بدعوى أن الرسالة تحمل العديد من المغالطات التاريخية للثقافة، ولكن في النهاية حصل على الدكتوراه من جامعة السوربون عن أطروحته «الأصول الزنجية للحضارة المصرية القديمة»، وعلى الرغم من الاستنكار الشديد الذي لاقَته تلك الأطروحة؛ فإنه نجَح في انتزاع درجة الدكتوراه بعدَ كفاحٍ دامَ عشرَ سنوات من الدفاع عن أطروحته، وما توصَّلت إليهِ من نتائج[٢].

٥) التأثير في الشتات الإفريقي:

الكيميتية لها تأثير كبير بين أفراد الشتات الإفريقي، خاصةً في الولايات المتحدة وأوروبا. العديد من الأفارقة في الشتات يتبنون الفكر الكيميتي كوسيلة لإعادة الاتصال بجذورهم الثقافية وتأكيد هويتهم الإفريقية في مواجهة التهميش والتمييز العنصري.

ومنذ خمسينيات القرن الماضي؛ قام عدد متزايد من الأمريكيين من الشتات الإفريقي بفحص هوياتهم وتاريخهم، أرادوا ألا يتم تعريفهم فقط بمأساة تجارة الرقيق عبر الأطلسي ومصاعب الفصل العنصري، فلجأ البعض إلى دراسة الثقافات الإفريقية لإيجاد القوة والأمل والإلهام، في الوقت نفسه تحدّوا وجهات النظر الأوروبية المركزية حول تاريخ إفريقيا[٣].

٦) المهرجانات والاحتفالات الثقافية:

تحتفل الحركات الكيميتية الجديدة في بعض الدول الإفريقية، وأيضاً في المجتمعات الإفريقية في الشتات، بمجموعة متنوعة من المهرجانات والطقوس المستوحاة من الحضارة المصرية القديمة، مثل مهرجان (رأس السنة الكيميتية)، ومهرجان (عيد أسيت المضيء) يُحتفل به لتكريم (إيزيس)، ويتضمن هذا المهرجان طقوساً مثل القرابين والصلاة[٤].

٧) إعادة إحياء الفلسفات والرياضات التأملية القديمة:

يتم إعادة إحياء تقنيات وأساليب تدريب وفلسفات مستوحاة من تلك التي كانت تمارس في مصر القديمة، نحو ممارسة اليوجا الكيميتية، ويعتبر «بيرسر را حتب» (المعروف أيضاً باسم إلفريد لورانس) أكبر معلم لليوجا الكيميتية في الولايات المتحدة، ولديه أكثر من ثلاثين عاماً من الخبرة في الممارسة والتدريس، وقد كتب على نطاق واسع عن الرموز الكيميتية وارتباطاتها باليوجا[٥].

٨) تهديد حالات الاستقرار المجتمعي في بعض البلاد:

هناك حالة من الحرص بشكلٍ مستمر من أنصار الكيميتية على مهاجمة الأديان السماوية، واستهزائهم بمقدساتها، وإبرازها بمظهر الأديان التي جاءت لاستعمار عقول الزنوج، والسيطرة على قلوبهم بمعتقدات لا تنسجم مع كيانهم وعاداتهم وتقاليدهم.

يقول «دومبي فاكولي» أحد نشطاء الكيميتية في مالي،

(١) Chryssides, George D. (2012). Historical Dictionary of New Religious Movements. Rowman & Littlefield. p.196-197.

(٢) https://www.hindawi.org/books/74648052/

(٣) https://antiquipop.hypotheses.org/eng/8761eng

(٤) https://www.kemet.org/community/festivals

(٥) https://yogainternational.com/article/view/the-black- history- of- yoga

وذلك في كتابــه (مقدمة إلى صلاة الزنجي الإفريقي): «إن الصــلاة التي لا فائدة فيها، والتــي تُعدّ خطرة ومهينة، هي صلاة يوجهها الإفريقي الزنجي إلى إله لم يكتشفه أجداده، يوجهها إلى أجداد الآخريــن وعباقرتهم. إن أتباع الديانات اليهودية أو المســيحية أو الإســلامية من الزنوج الأفارقة يضيعون أثمن أوقاتهم فيما لا ينفعهم»[1].

وخــلال العــام الماضي قام ناشــط كيميتــي يدعى «مامادو ديمبيلي» من مالي ببثّ مقطع فيديو عبر شــبكات التواصل الاجتماعي، تبلغ مدته ثــلاث دقائق، يتحدث فيه بلغة البمبــارا المحلية، ويقوم خلال حديثــه بإهانة الدين الإســلامي والمســلمين والقرآن، في بلدٍ أكثر من ٩٥٪ من ســكانه يعتنقون الدين الإســلامي. وقد أثارت أفعاله هذه مشاعر الغضب عند المسلمين، وحدثت صدمة غير معتادة في مالي، وخرج مئــات الآلاف في مظاهرات غاضبة تندد بهذه الممارسات.

الخاتمة:

أختم هذا الدراسة بصياغة أهم النتائج في النقاط الآتية:

١- **البانافريقانية:** هــي حركــة سياســية واجتماعية، تســعى إلى توحيد وتضامن الدول الإفريقية والشعوب ذات الأصول الإفريقية في جميع أنحاء العالم. وتؤكد على التاريخ المشترك للاستعمار، والنضال من أجل الاستقلال، والحاجة إلى التمكين الاقتصادي والسياسي والثقافي الجماعي.

٢- **الكيميتية:** حركة دينية، نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية في منتصف القرن العشرين على يد مثقفين سود، تدعو إلى ممارسة عبادة الآلهة المصرية القديمة باعتبارها ديانة الأســلاف من الآباء والأجداد؛ لكونها الشرط الوحيد للنهضة، والبعث الإفريقي من جديد.

٣- **إن ثمة خلطاً واضحاً اليوم بين البانافريقانية والكيميتية:** الأمر الــذي أدى إلى صعوبة التفريق بيــن الحركتين، فقد وُضعت الحركــة البانافريقانية في قفص الاتهام؛ لأن أغلب النشــطاء على منابر الإعلام والتواصل الاجتماعي يدّعون الانتماء إلى البانافريقانية، وفي الوقت نفسه لهم معتقدات الحركة الكيميتية الوثنية.

٤- **هناك قاسم مشترك بين البانافريقانية والكيميتية:** هي الدعوة إلى تحرير الشــعوب السوداء من قبضة الإمبريالية العالمية، والسعي نحو الوحدة الإفريقية، وبناء هوية إفريقية موحدة.

٥- **تختلف البانافريقانية والكيميتية في عدة نقاط رئيسية:**

أ- **الأصول الفكرية والثقافية:**

- **البانافريقانية:** تركز على الوحدة بين جميع الشــعوب الإفريقية وتعزيز الهوية الإفريقية المشــتركة، مستندةً إلى التاريخ المشترك والتجارب الاستعمارية، وتهدف إلى توحيد الأفارقــة في القــارة وخارجها، مع التأكيــد على الأصول الإفريقية المشتركة.

- **الكيميتية:** تســتند إلــى إحياء الحضــارة المصرية القديمة والتراث الثقافي الإفريقي، وتركز على تعزيز الهوية المرتبطة بمصر القديمة كجزء من الهوية الإفريقية.

ب- **النهج والأساليب:**

- **البانافريقانية:** تعتمد على النهج السياسي والاجتماعي، وتدعو إلى الوحدة السياســية بين الدول الإفريقية وتعزيز التعاون الاقتصادي والاجتماعي، وتسعى إلى إنشاء منظمات سياسية تعبّر عن مصالح الشعوب الإفريقية.

- **الكيميتية:** تركز بشــكل أكبر علــى الجوانب الثقافية والفكريــة، وتســعى إلى إحيــاء الفخر بالتــراث الثقافي والحضاري الوثني القديم.

ج- **التركيز على الهوية:**

- **البانافريقانية:** تســعى إلى بناء هوية إفريقية شاملة تتجــاوز الحدود السياســية والعرقية، ممــا يعكس التنوع الثقافي في القارة، وتهــدف إلى تعزيز التضامن بين جميع الأفارقة بغض النظر عن خلفياتهم الثقافية.

- **الكيميتية:** تركــز علــى الهوية المرتبطــة بالتراث المصــري القديم، مما قد يؤدي إلى تهميش بعض الثقافات الأخرى داخل القارة ■

(١) www.sepafar.bf, Le kemitisme ou le kamitisme, Abbй Justin ZANGRE, Documentation, 18 Juillet 2023. نقلاً عن (مقدمة إلى صلاة الزنجي الإفريقي).